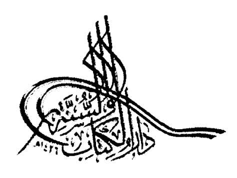
المفهوم الصحيح للتيسير
في
هدي البشير النذير ﷺ

الشيخ العلامة المحدث
أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري





الطبعة الأولى

لـدار الكتاب والسنة

رقم الإيداع بهيئة الكتب والوثائق القومية

٢٠٠٧/١٧٩٥٣

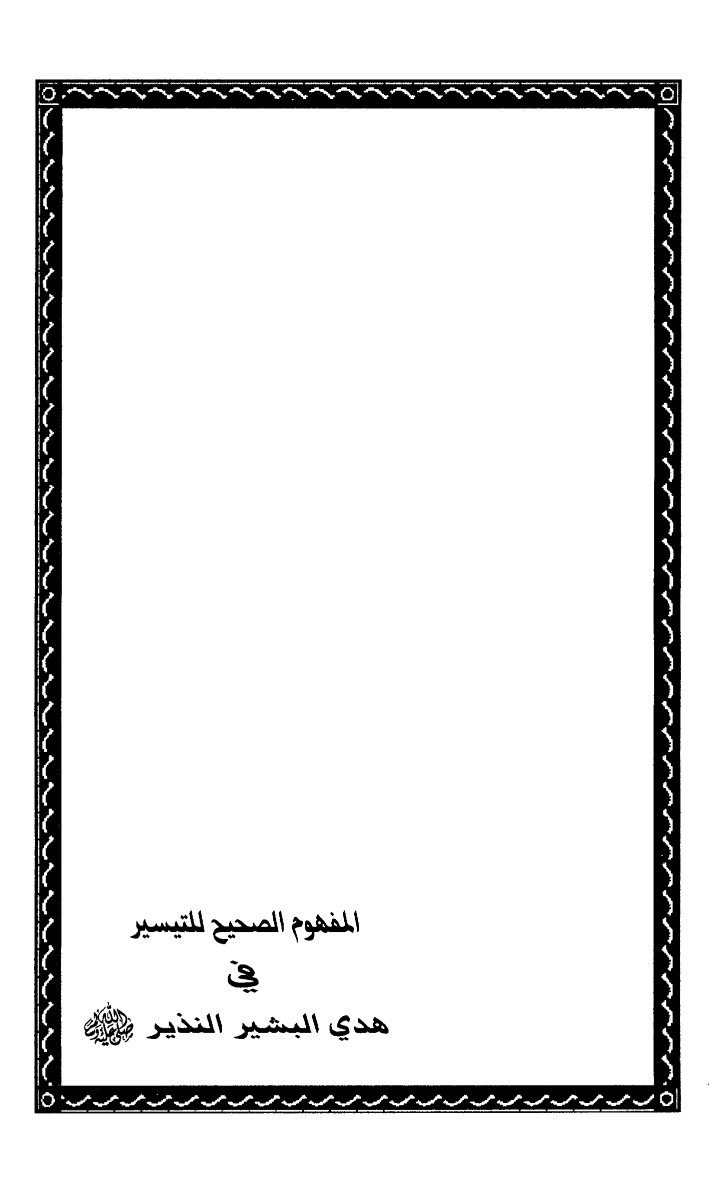
دَارُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِلطِبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْع

٥ ش أحمد عبد الله متفرع من ش عين شمس – القاهرة – جمهورية مصر العربية

جوال: ٠١٠١٠٢١١٨٧ – ٠١٠٤٦٧١٤٣٩

موقعنا على الإنترنت: www.dar-ketabsunah.com

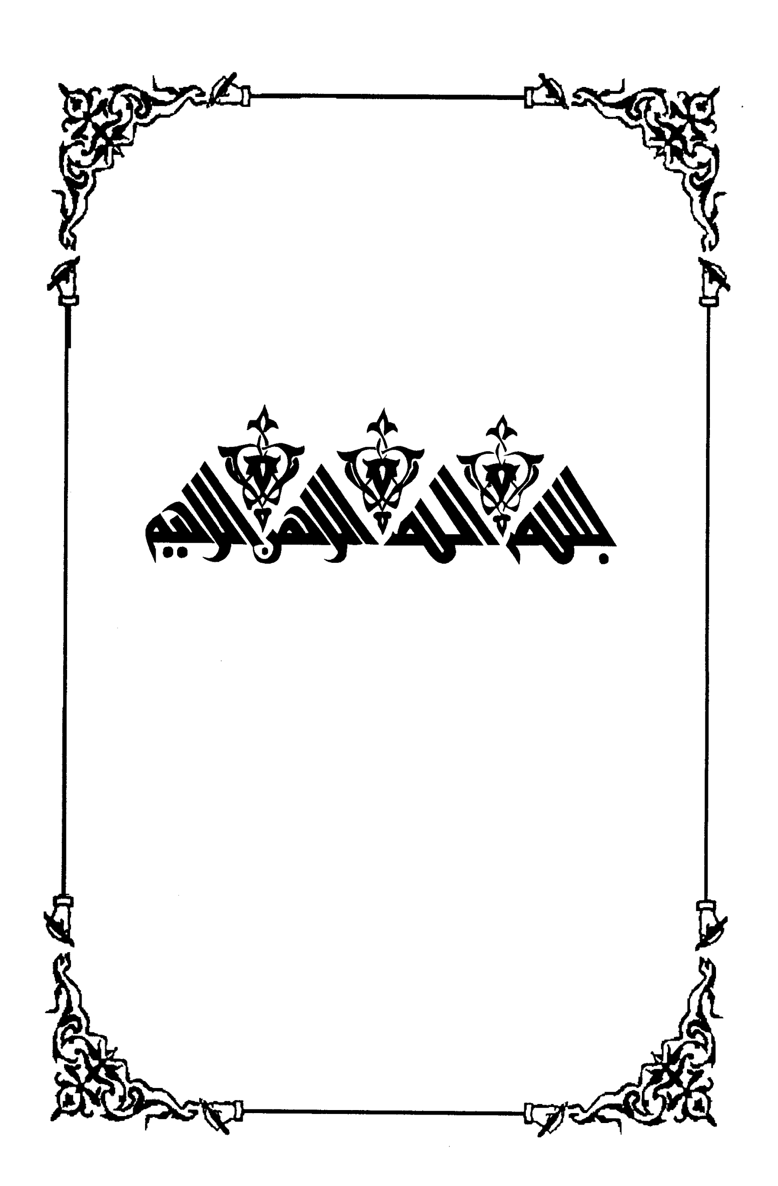
البريد الإلكتروني: dar_alktabwalsunnah@hotmail.com



المفهوم الصحيح للتيسير

في

هدي البشير النذير ﷺ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فأصل هذه الرسالة المتواضعة محاضرة بين مغرب وعشاء كانت في أحد مساجد السنة من قرية المهاذر ببلاد صعدة، والباعث عليها - مع ما يروج بين الناس من التماس الرخص والمخالفة في كثير من البلدان - أني قرأت رسالة وزِّعت على حُجَّاج عام ١٤٢٧هـ للمدعو "سلمان بن فهد العودة " بعنوان «**افعل ولا حرج**» فرأيت فيها الهول من الشطط والغلط فيما سموه تيسيرًا، فرأيت أنه لابد من بيان شيء من التيسير حقًّا والإلماح إلى التيسير الذي أصله عين التعسير في الدين والدنيا.

وبعد أن قام الأخوان الفاضلان عمرو بن محمد مهني الجزائري وأبو الفتح الريمي - جزاهما الله خيرًا - بتفريغ مادتها من الشريط راجعتها وأضفت بعض الشيء وحذفت بعضًا؛ راجيًا من الله عز وجل أن ينفع بها وبالله التوفيق.

يحيى بن علي الحجوري

٦ رجب ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

فنحمد الله الذي هيأ لنا هذا اللقاء في هذا المسجد المبارك، وفي هذه القرية الطيبة، ونشكر للحاضرين استماعهم، والحرص على انتفاعهم، ونشكر لمن قدم معنا من رفقتنا وللجميع حرصهم على حلقات العلم والذكر قال رسول الله ﷺ **«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ**

وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ»[(١)].

وذلك كله بعد شكر رب العالمين سبحانه وتعالى، على إقباله بالقلوب على الخير والسنة، وعلى تيسيره هذه النعمة فهو القائل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

والقائل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠].

والقائل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨].

وما سنتذاكره ونتدارسه إن شاء الله تعالى في هذا المجلس المحفوف بالسكينة وبالوجوه المشرقة المتوضئة هو يتعلق بأمر «التيسير في هدي البشير النذير» عليه الصلاة والسلام.

وهذا أمر لا شك أنه موضوع له بالغ الأهمية، فإن الناس في هذا الجانب بين إفراط وتفريط ووسط، فكان مدارسة هذا الأمر مما يلزم، ومما يُرجى نفعه وثمرته إن شاء الله عز وجل، معتمدين في ذلك على ما بيَّنه رب العالمين سبحانه وتعالى في كتابه العظيم، أو على لسان رسوله النبي الكريم، إذ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول لنبيه ﷺ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ابراهيم: ٥٢].

ويقول لنبيه ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

ويقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢].

ومبدأ هذا الموضوع المهم هو بيان الله عزَّ وجلَّ في كتابه أنه خلق العباد لحكمة بالغة وهي عبادة الله جلَّ جلاله؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذريات: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء: ٣٦].

وقال في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

ثم بين لهم سبيل عبادته عزَّ وجلَّ التي خلقهم من أجلها والتي مبناها على حبِّه والتذلل له، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وقد أمرهم بأوامر وفرض عليهم فرائض هي في حدود وسعهم وطاقتهم، ولم يكلفهم الله عزَّ وجلَّ أكثر مما يطيقون بنص قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقول الله عزَّ وجلَّ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[الطلاق: ٧]

وبنص قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦]

وبنص قول رسول الله ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه «صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»(١)

هذه إرادة رب العالمين من عباده، خلقهم لعبادته، وأراد بهم اليسر، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[النساء: ٢٦ – ٢٨] فالله عزَّ وجلَّ أرحم الراحمين وهو رب العالمين، وهو أرحم بنا من الأم بولدها، ففي الصحيحين عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ «أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ «للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» الله عزَّ وجلَّ خلق العباد وهو بهم رءوف رحيم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] فلم يكلف الله العباد أكثر مما يطيقون لا في الـمِلَلِ الماضية ولا في هذه الملة التي هي أيسر الشرائع وأوضح الشرائع وخاتم الأديان، فكل دين أنزله الله سبحانه وتعالى، وأرسل به رسله على أمة من الأمم

(١) أخرجه البخاري (١١١٧).

ليس فيه إلا ما يطيقون، وليس فيه إلا ما يستطيعون آداءه لهذه الأدلة التي سمعتموها، وأن الله سبحانه وتعالى أراد من عباده امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وذلك يسير على من يسره الله عليه، وإنما حصلت الأعسار على الأمم الماضية نتيجة تمردهم على شرع رب العالمين سبحانه وتعالى، ونتيجة استثقال تلك الأوامر الإلهية، والتوجيهات النبوية من رسلهم عليهم الصلاة والسلام، استثقلوها واعتبروها شاقة وهي يسيرة عليهم، فلهذا كان عقاب الله سبحانه وتعالى لهم نتيجة فعلهم، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مبيِّنا أنَّ أوامره لهم يسيرة، ومبيِّنًا تمرُّدهم واستثقالهم لشرع الله العزيز الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨] أوامر يسيرة عليهم، وَصَف من قام بها من المحسنين ووعدهم عليها بالزيادة من فضله، ومنها أنهم يدخلون الباب سُجَّدًا، فانظر إلى التفلت والتمرد واستثقال أمر الله سبحانه وتعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] كان هذا الرجز من السماء بسبب ما سمعتم من استثقالهم لأمر الله عزَّ وجلَّ وأمر رسوله ﷺ وقال بعد ذلك: ﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦٠ – ٦١] فنتيجة اعتدائهم واستثقالهم لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ واعتبار تلك الأوامر شاقة عليهم والتماس المخارج وابتغاء التملص من أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ تضاعفت عليهم الأعسار عقابا لهم، ومزيدا في بيان ذلك قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم آمرًا لهم أن يذبحوا بقرة حين أن قَتَل رجل قريبه ورمى به على القبيلة، وهو مع جريمته التي ارتكبها يلتمس بذلك أن يعطى مالًا مقابل دم قريبه وأنه من دم قريبه براء قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾[البقرة: ٦٧] أمرهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يذبحوا بقرة ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٨ – ٧١].

وما زالوا من سؤال إلى سؤال.

يقول أهل التفسير: لو أنهم انقادوا لأمر نبيهم، وعمدوا لأي بقرة فذبحوها لكانت مجزئة عنهم، يضربون ذلك الميت ببعضها فينطق الميت بإذن الله عزَّ وجلَّ ويخبر بمن قتله ولكن استثقال الأوامر والتماس المخارج بهذه

الأسئلة سببت لهم ثقلا حتى إنهم التمسوا تلك البقرة في بقر بني إسرائيل فلم يعثروا إلا على شيء نادر منها.

هذه والله عبرة لكل من استثقل أمر الله، أن الله إن لم يعاقبه في هذه الدنيا يعاقبه يوم القيامة، فإن الله تعالى أنزل دينًا يسرًا سهلاً لعباده، يعبدون الله عزَّ وجلَّ به بكل يسر وسهولة قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧] وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلجَةِ**»(١) وهذا شامل لمن مضى لو أنهم استقاموا.

ومن تعنتهم ومن كذلك أيضا تمردهم وتفلتهم أسئلتهم لعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥] عوقبوا بها سمعت.

ومن تعنتهم ما أخبر تعالى به فقال: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣].

(١) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن تعنتهم ما ذكره الله في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢] حتى التوحيد استثقلوه فصاروا من المشركين من الملعونين ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

وهكذا يخبر ربنا عزَّ وجلَّ وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] هل امتثلوا لهذا الأمر من الله ومن رسوله ﷺ؟ لا ولكنهم لا يزالون لاجِّين مستمرين في شركهم بالله عزَّ وجلَّ وإعراضهم عن الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]

وقال ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢] نعم استثقلوا أوامر دين الله عليهم فصاروا محادِّين لله عزَّ وجلَّ.

وهذا أيها الناس يمهِّد لنا الدخول إلى باب وهو أن هذا الأمر حذر منه

رسول الله ﷺ تحذيرًا بليغًا، أمر استثقال الشريعة الإسلامية التي بينها رسول الله ﷺ واعتبار ذلك عسرًا أو اعتبار تلك مشقة أو اعتبار ذلك تكليفًا بما لا يطاق هذا خطير جدًّا، فربُّ العالمين تبارك وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

هذه أوامر من الله عزَّ وجلَّ ما فيها مشقة وهم عباد لله يجب أن يذعنوا لله تعالى.

وأن يخضعوا له وأن يمتثلوا أمره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] لم يرد الله سبحانه وتعالى بعباده حرجًا قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]

ونسمع بادرةً انتشرت عن محاولة تيسير جديد يتعارض مع ما دلَّت عليه

أدلة القرآن والسنة، فهذا يتضمن الطعن في رب العالمين من حيث لا يشعر القائل. وانظروا إلى أولئك الذين تمردوا كيف عاقبهم الله ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١].

وقال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ما سبب ذلك؟ حصل منهم بغيٌ واستثقال لشرع الله فعاقبهم الله، نهاهم الله عزَّ وجلَّ عن الاصطياد في يوم واحد ويصطادون في بقية الأسبوع فاستثقلوا هذا النهي عليهم، وسبَّبَ لهم ذلك الاستثقال هلكة عظيمة ونكالا مخزيا ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦] ما نتيجة هذا المسخ من آدمي في أحسن تقويم كرمه الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

سبب ذلك استثقال هذا الدين استثقال الأمر والنهي من الله تبارك وتعالى ومن رسوله ﷺ.

ألا فليحذر امرؤٌ على نفسه من استثقال الدين، ولينشرح صدره. إن أمر المؤمن يكون منشرحا لهذه الأوامر والنواهي وفرِحًا بها كما أمر الله عزَّ وجلَّ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢] والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله، فهو عام شامل ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[الزمر: ٢٢] هو منوَّر مستريح والذين تَستَثقِل قلوبهم ذكر الله وتشمئزُّ من ذلك مهدَّدون بالويل، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢] المؤمن حقا إذا علم بحكم الله عزَّ وجلَّ وحكم رسوله ﷺ واجبًا كان أو مستحبًّا سرعان ما يبادر إلى ذلك لالتماس الأجر والمثوبة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٣٠].

وقال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ

ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٤] هذا الذي ينبغي أن يُربَّى عليه المجتمع؛ قبول الدين ومحبة الدين في كل صغير وكبير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] وإنَّ من خطوات الشيطان وعلامات الزيغ أن يجعل في قلبك عدم الانشراح للواجبات أو السنن يقول «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١) يا ترى هذا الوعيد لمن حصل له بالأمر الهيِّن؟ بعض الناس يستهينون به ولا يريد إلا أن يأخذ شيئا من أعظم الواجبات ومع ذلك يقول: "هي سنة" وكأنَّ السنة في منظاره ليس لها كبير أهمية والله المستعان.

وقال عليه الصلاة والسلام «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»(٢) أنت تريد الفلاح، أنت تريد النجاح ؛لا تتجاوز سُنَّة رسول الله ﷺ مهما حصل لك من ضعف كن في إطار السُّنَّة أمَّا إن هَبَطْتَ ونَزَلْتَ إلى أبعد من السنة فقد وقعت في الهلاك بنص هذا الحديث النبوي الشريف عن النبي ﷺ.

وقال رب العالمين جل جلاله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] والعمل الصالح يشمل الواجبات والمندوبات وإن كانت الواجبات ذروة

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢) وابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.
(٢) أخرجه أحمد (٦٧٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

الأعمال كما قال النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**». فما بال أناس كأنَّهم زاهدون في حب الله عزَّ وجلَّ وقد وَعَد عباده أنهم إن تقربوا إليه بالنوافل المستحبات والمندوبات أحبهم قال في هذا الحديث: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١) كل هذا يحصل بسبب حرصك أيها المسلم على النوافل بعد الفرائض، والاستمرار على ذلك، هذه هي العبودية حقًا التي خلق الله عزَّ وجلَّ العباد لها، وعلى قدر هذه العبودية يرفع الله عزَّ وجلَّ عبده أو يضعه على قدر تمسكه أو بُعده عنها والتي هي في غاية التيسير للعباد، فهو الذي يوفق العبد للعمل الصالح ويثيبه ويلهمه الدعاء ويجيبه.

ولما نزل قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا أَيْ رَسُولَ الله كُلِّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا : ولا نطيق أي لأنهم يحاسبون على ما في صدورهم فإن هذا قد يحصل في قلب الإنسان شيء إذا حوسب عليه قد يهلك وكان جواب النبي ﷺ لهم بتأديب عظيم –

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ نَعَمْ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ: نَعَمْ(١).

ولما صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا كان يحب أن يولِّي وجهه إلى البيت الحرام ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾[البقرة: ١٤٤].

ففي صحيح البخاري عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنْ الْأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ.(١)

وما كان عندهم أي تردد ولا استثقال لهذا الأمر. كذلك أيضا لما خلع النبي ﷺ نعليه في الصلاة مباشرة خلعوا نعالهم، ففي سنن أبي داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ**» قَالُوا رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا أَوْ قَالَ أَذًى وَقَالَ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا**».(٢)

والشاهد من هذا الحديث هو أن النبي ﷺ لـمَّا خلع نعليه ما انتظروا حتى تنتهي الصلاة ثم يستفسروه ماذا يحصل كما فعل أولئك الذين ذمَّهم الله تعالى وأهلكهم بسبب استثقال الأوامر والاتباع.

ولما لبس النبي ﷺ خاتما من ذهب ثم نزعه مباشرة خلعوا خواتيمهم جاء في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ وَقَالَ إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا**» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ.(٣) بل إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ «**يَعْمِدُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٩٨).

أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ لَا وَاللهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.(١)

ولَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا: -أي بعض المسلمين الجدد- يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(٢).

هذا هو التيسير عباد الله أن ينضبط الناس بالكتاب والسنة وأن ينضبط الناس بدين الله كافة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وجاء في الصحيحين عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ قَالَ نَافِعٌ لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي قَالَ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ الْآيَةَ

قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.(٣) نزل القرآن بتأديب إلهي بعدم رفع الصوت على رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٠).
(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٠٠) والترمذي (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٦٤) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

حيًّا ولا على سنته ميتا، سواء كانت هذه السنة دالة على واجب أو مندوب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[الحجرات: ٢]إِلَى آخِرِ الْآيَةِ جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى قَالَ سَعْدٌ إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى قَالَ فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ ثَابِتٌ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ(١).

ولما قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ **«لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي»** ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ.(٢)

ثابت رضي الله عنه كان خطيب الأنصار ومع ذلك خاف على نفسه من رفع

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٧) ومسلم (١١٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٤) ومسلم(٢٢٧٣).

الصوت عند رسول الله ﷺ، لم يقل "هذه سنة وإنما نأخذ الواجبات" كما هو المفهوم العقلي عند كثير من الناس الذين استثقلوا كثيرا من الشريعة ومن الأوامر والنواهي والمستحبات والمندوبات، عندئذٍ قال النبي ﷺ أخبروه أنه من أهل الجنة. وبعد ذلك عمر بن الخطاب كان إذا أراد أن يتكلم مع رسول الله ﷺ يكلمه من أخي السرار بكلام لطيف خفيف يسمع رسول الله ﷺ ربما لا يسمعه من بجانبه، كل ذلك عملا بهذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]

أيها الناس إننا والله نلتمس الهداية ونلتمس طرق الجنة، طرق الجنة ماثلة في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وليس دين الله تعالى مُفَوَّضًا إلينا إنما هو دين محكم فيجب أن يُتَّبع ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] فإن لم يستجيبوا لك ما النتيجة؟والله ليس معهم إلا الهوى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] هكذا يقول رب العالمين سبحانه وتعالى. ويقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] معناها أن الله لم يخيرك أنك تأخذ من الدين ما شئت وتترك ما شئت، هذا ليس إليك، أنت

عبد لله اعمل بأمر الله واجتنب نهي الله فرضًا أو نفلًا، وكلٌّ بحسبه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] أنت تريد الزكاة لنفسك تزكي نفسك بطاعة الله، فهذه هي التي أبانها الله عزَّ وجلَّ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والحكمة إذا قرنت بالكتاب فهي السنة عند أهل العلم. فالله سبحانه وتعالى علَّمنا الكتاب والسنة لتزكية أنفسنا ولإراحة أنفسنا وللاتباع وللاستنارة بذلك ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] فليس من القول السديد أنَّ الإنسان يستثقل أمر الله أو أمر رسوله ﷺ على أي حال.

المبحث الرابع في هذه الكلمة هي ما تقدم التمهيد له والبسط في بعض المواضع منه وهو أنَّ أناسا كأنَّ الله عزَّ وجلَّ فوَّضهم في دينه فتراهم في باب الأنكحة عملوا تيسيرات لا قبل لهم بها، عملوا تيسيرات لم يحيطوا بعلمها ولما

يأتهم تأويلها من عند أنفسهم، فشرَّعوا زواجًا على غير ما شرعه الله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

والقائل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩] هذا الزواج يسمونه عند الغربيين زواج "فرند" باللغة الأعجمية والله المستعان، وعند المسلمين اخترعوا له اسما يسمونه "زواج التيسير" - زعموا - وهو أن الإنسان ممكن أن يعقد على امرأة بغير بيت ولا إعلان النكاح ولا رعاية ولا كبير عشرة ولا تربية أبناء ولا شيئا من أمور الزواج، إنما اللهم مجرد العقد. وهذا الزواج محدث في دين الله تعالى، وفيه من الأعسار على المرأة وتضييع الأولاد والتثقيل على الزوج وعدم إراحة المرأة وعدم حسن معاشرتها تفلت عن واجبات كثيرة تحت ستار ما يسمونه بالتيسير - زعموا - كل ما أرادوا فكرة من الأفكار تروق لهم رموا بها على المسلمين وأدخلوها تحت إطار التيسير زعموا والتيسير منضبط بالكتاب والسنة والذي أبانه الله عزَّ وجلَّ **ومن الأعسار التي أتوا بها سموها تيسيرا** هي ما يسمونها بالأرباح وما يسمونها كذلك بالمكاسب وهي ربا في الحقيقة، هذا الربا لهم احتيالات عليه. من تلك الاحتيالات أنَّ صاحب البنك إذا أراد أن يتمرَّد على الربا يأتي إليه مُبْتَغٍ سلعةٍ من السلع فيقول: أريد هذه بمليون وما عندي ذلك المليون، فيذهب ذلك الشخص ويشتري السيارة أو تلك السلعة

بمليون لا لقصد التملك ويسجلها عليه بأزيد من المليون وإنما المقصود الاحتيال فيتوصل بهذه الحيلة الرِّبوية إلى زائد بينها لو أعطاه المليون وسجَّل عليه المليون ومائة أو مليون ومائتين صار ربا واضحا، إنما هذه من الاحتيالات التي سموها تيسيرا. وبعضهم يبيح الربا على هذه الحيلة نسأل الله السلامة.

ومن تلك الحيل التي سموها تيسيرا ما شاع أيضا في أمر رمي الجمار قبل الزوال في أيام منى الثلاثة مخالفة لهدي رسول الله ﷺ ومحدث من المحدثات **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**[1] أعني في ذلك أيام التشريق عدا يوم النحر، فإن رسول الله ﷺ كان منتظرا حتى زالت الشمس وعندهم من الأعمال الشيء الكثير ولم يتسع في ذلك اليوم إلى تيسير العصريين الذي ابتدعوه وأحدثوا مما يؤدي ذلك التيسير إلى بطلان رمي من رمى في ذلك الوقت.

هكذا تيسيرهم في صور ذوات الأرواح زعموا تيسيرا لمعرفة فلان وعلَّان، وقد كان في الدولة الأموية، وهكذا كان قبل ذلك في زمان رسول الله ﷺ، بل حتى في أزمنة الجاهلية يعرف الشخص بجريمته، ولهم مراسيم وأمور يعرفون بها الجرائم، ويعرفون بها ما يتوصل بها إلى حلول القضايا بغير صور ذوات الأرواح وبالانتشار الفظيع بغير ضرورة إلى هذا الذي اعتبروه تيسيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم(١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من تيسيرهم في الطهارة

من تيسيرهم المزعوم في الطهارة أن عمد كثير من الناس إلى مياه المجاري التي هي عبارة عن فضلات نجسة بالطعم واللون والرائحة، فضلات الأمراض والأدواء والجراثيم، وأنواع الأوساخ والدماء والبول والرجيع، عمدوا إلى هذه المياه فجعلوا فيها بعض الأدوية المنقية والمصفِّية وأعادوها إلى مياه عذبة صالحة للشرب والتطهر وسائر ما يحتاج إلى الماء من استعمال. ومهما حصل من المنقيات فإن عِلَّة الاستخباث لا تزال موجودة في ذلك الماء المعتصر من البول والغائط وغيرهما من أنواع النجاسات والقاذورات، وقد نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الْجَلاَّلَةِ فِى الإِبِلِ أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا أَوْ يُشْرَبَ مِنْ أَلْبَانِهَا. فيما صح عنه[1].

قال الشوكاني رحمه الله تعالى في نيل الأوطار (٥/ ١٩٨): وقال النووي في الروضة تبعا للرافعي: الصحيح أنه لا اعتماد بالكثرة - أي لا يشترط في كونها جلَّالَة أن يكون أكثر مرعاها النتن - بل بالرائحة والنتن، فإن تغيَّر ريح مرقها أو لحمها أو طعمها أو لونها فهي جلالة، والنهي حقيقة في التحريم، فأحاديث الباب ظاهرها تحريم ذلك، وذهبت الشافعية إلى تحريم أكل لحم الجلَّالَة وحكاه في "البحر" عن الثوري وأحمد بن حنبل. اهـ.

وقوله في الحديث "نهى أن يركب عليها " قال: علة النهي أن تَعْرَق فتلوِّث ما عليها بعرقها، وهذا ما لم تحبس، فإذا حبست جاز ركوبها عند الجميع.والجمهور على طهارة لبن الجلَّالَة لأن النجاسة تستحيل في باطنه

(١) أخرجه أبو داود(٣٧٨٧) والترمذي(١٧٢٤) من حديث ابن عباس وعن ابن عمر رضي الله عنهما وغيرهما وهو حديث صحيح.

فيظهر بالاستحالة، كالدم يستحيل في أعضاء الحيوانات لحما ويصير لبنا. اهـ.

قلت إذا كان هذا في حيوان يأكل شيئا من العذرة يؤثر في لحمه ودمه ولبنه، ويؤثر في جسم شارب لبن ذلك الحيوان فكيف بمثل هذا الماء المستحيل ظاهرًا وهو يحمل من المكروبات ما لا يحمله لبن الجلَّالَة؛ فتأمل.

ومن تيسيرهم:

استعمال المرأة دواء منع الحيض تسهيلا لأعمال الحج والعمرة والصوم، فيه عسر على المرأة وحصول بعض الأمراض والأوجاع كما أثبت ذلك الأطباء.

تيسيرهم في الصلاة

من تيسيرهم توحيد الأذان:

حيث يكون مؤذن واحد يؤذن من مسجد واحد للبلد كله كما حصل في الإمارات، وهذا مخالف لسنة رسول الله ﷺ كحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال: «فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ -أي لأولئك النفر كما كون لغيرهم مؤذنهم- وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(١).

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى في المغني (١/ ٤٢٥): "وليس للرجل أن يبني على أذان غيره؛ لأنه عبادة بدنية فلا يصح من شخص كالصلاة"اهـ.

وتوحيد الأذان: فيه إماتة لشعيرة من أعظم شعائر الله تعالى.

وفيه أنه إن أخطأ المؤذن في ذلك المسجد تابعه أهل البلد على خطئه في الوقت. وهو بدعة محدثة لا يجوز الرضا بها، فعلم بذلك أنه ليس تسهيلا وإنما هو تعسير ومخالفة لهدي البشير النذير ﷺ

ومن تيسيرهم في الصلاة أيضًا:

تحري الأذان والإقامة على التقويم على مرور السنة، وذلك خطأ في بعض الفصول قد يزيد الوقت على ما حدده كُتَّاب التقويم أو ينقص فيؤدي ذلك في بعض الحالات إلى بطلان أذانهم وصلاتهم إذا صلوها في ذلك الوقت. والدليل ما تقدم من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه، ولقول الله تعالى ﴿إِنَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٦٧٤).

ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء -١٠٣]

قال ابن قدامة في المغني (١/ ٤٥٥) رقم (٥٦٣): " الأذان قبل الوقت غير الفجر لا يجزئ وهذا لا نعلم فيه خلافًا. وقال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن من السنة أن يؤذن للصلاة بعد دخول وقتها إلا الفجر " اهـ.

قلت: يعني بقوله " الفجر " الأذان الأول منه فأمّا الأخير منه شأنه شأن سائر الأوقات، لا يصلح الأذان فيه قبل الوقت.

فعلم بهذا أنَّ الأذان على التقويم على هذا الاستمرار عرضة لبطلانه وبطلان الصلاة في بعض الأوقات، وفي بطلان الصلاة عسر عظيم على المسلمين.

ومن التيسير المشار إليه: السترة :

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: باب السُّتْرَةِ بِمَكَّةَ وَغَيْرِهَا

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِالْهَاجِرَةِ فَصَلَّى بِالْبَطْحَاءِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَنَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةً، وَتَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَمَسَّحُونَ بِوَضُوئِهِ(١).

قال الحافظ في الفتح : "وَالَّذِي أَظُنُّهُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَنْكُتَ عَلَى مَا تَرْجَمَ بِهِ عَبْد الرَّزَّاق حَيْثُ قَالَ فِي (**بَابِ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ شَيْء**) ثُمَّ أَخْرَجَ عَنْ اِبْن جُرَيْج عَنْ كَثِير بْن كَثِير بْن الْمُطَّلِب عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: " رَأَيْت النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَام لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: أَيْ النَّاسِ: سُتْرَة " وَأَخْرَجَهُ مِنْ هَذَا

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩)و مسلم (٥٠٣).

الْوَجْهِ أَيْضًا أَصْحَاب السُّنَنِ، وَرِجَاله مُوَثَّقُونَ إِلَّا أَنَّهُ مَعْلُول، فَقَدْ رواه أَبُو دَاوُد عَنْ أَحْمَدَ عَنْ اِبْن عُيَيْنَة قَالَ: كَانَ ابْن جُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا بِهِ هَكَذَا فَلَقِيت كَثِيرًا فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ أَبِي سَمِعْتُهُ وَلَكِنْ عَنْ بَعْضِ أَهْلِي عَنْ جَدِّي".

قلت وصرَّح به عند أحمد في المسند (٦/ ٣٩٩)، وأبي داود (٢٠١٦) وآخرين. أخرجوه من طريق كثير بن المطلب بن أبي وادعة سمع بعض أهله يحدث عن جده فذكر الحديث.

قال الحافظ: " فَأَرَادَ الْبُخَارِيّ التَّنْبِيه عَلَى ضَعْفِ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَنْ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا فِي مَشْرُوعِيَّة السُّتْرَة، وَاسْتُدِلَّ عَلَى ذَلِكَ بِحَدِيثِ أَبِي جُحَيْفَة وَقَدْ قَدَّمْنَا وَجْه الدَّلَالَةِ مِنْهُ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَأَنْ لَا فَرْقَ فِي مَنْعِ الْمُرُورِ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي بَيْنَ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا ".

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَدْ نَصَبَ عَصًا يُصَلِّي إِلَيْهَا. [1] اهـ وإسناده صحيح

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَعْبَةَ مَشَى قِبَلَ وَجْهِهِ حِينَ يَدْخُلُ، وَجَعَلَ الْبَابَ قِبَلَ ظَهْرِهِ، فَمَشَى حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ الَّذِى قِبَلَ وَجْهِهِ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ، صَلَّى يَتَوَخَّى الْمَكَانَ الَّذِى أَخْبَرَهُ بِهِ بِلَالٌ أَنَّ النَّبِيَّ: ﷺ: صَلَّى فِيهِ [2]

وأخرج البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ قَامَ نَاسٌ مِنْ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٩٦) رقم (٢٨٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦) ومسلم(١٣٢٩).

أَصْحَابِ النَّبِيِّ: ﷺ: يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ: ﷺ: وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ.[١]

وهذا النقل عن الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يصلون في مسجد رسول الله ﷺ. ولا فرق عند الصحابة ولا في الأدلة الدالة على الصلاة إلى السترة بين السترة في مكة ولا غيرها. فقد أخرج البخاري رحمه الله تعالى عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ اعْتَمَرَ رَسُولُ الله: ﷺ: فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَهُ مَنْ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ.[٢]

وعلَّق البخاري رحمه الله تعالى (١/ ٥٨٢) بصيغة الجزم ووصله الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٢٤٧)بسند صحيح إلى ابن عمر أنه كان يصلي إلى الكعبة ولا يدع أحدا يمر بين يديه يبادر يرده.

وذهب المالكية كما في الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٢٩٢) إلى أن المرور بين يدي المستَتِر في المسجد الحرام كغيره. وإذا علم أنه لا يثبت دليل يخصص مكة عن غيرها من عمومات هذه الأدلة ونصوصها فلم يبق مع القائلين باستثناء مكة عن غيرها من مشروعية السترة إلا ما يسمى بالتيسير المخالف لهدي البشير النذير، وما كان كذلك فهو مردود.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٣).

من تيسيرهم في الحج

من تيسيرهم في الحج:

الإهلال من جدة لركاب الطائرات والسفن

قال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر في رسالته التي رأى فيها جعل جدة ميقاتا للقادمين إليها جوا وبحرا.

قال: "ولا أَوْفَق ولا أَرْفَق من جعل جدة هي الميقات إذ هي باب الدخول إلى مكة من جهة البحر فتكون ميقاتا لجميع القادمين إليها على الطائرات أو البواخر والسفن...إلخ وقد رَدَّ عليه من أهل العلم كثير، ومن الردود عليه ما قاله العلامة ابن باز رحمه الله تعالى كما في مجموع فتاواه (١٧/ ٢٣: ٢٩) قال: "الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه..أما بعد:

فقد اطلعت على ما كتب في التقويم القطري بإملاء فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري صفحة (٩٥، ٩٦) حول المواقيت للوافدين إلى مكة بنية الحج أو العمرة فألفيته قد أصاب في مواضع وأخطأ في مواضع خطأً كبيرًا، فرأيت أن من النصح لله ولعباده التنبيه على المواضع التي أخطأ فيها راجيًا بعد اطلاعه على ذلك توبته عما أخطأ فيه ورجوعه إلى الحق؛ لأن الرجوع إلى الحق شرف وفضيلة وهو خير من التمادي في الباطل بل هو واجب لا يجوز تركه؛ لأن الحق واجب الاتباع، فأقول: أولاً: ذكر وفقه الله في الفقرة الثالثة من كلمته ما نصه:

"القاصدون عن طريق الجو لأداء الحج والعمرة إذا كانت النية منهم الإقامة بجدة ولو يومًا واحدًا ينطبق عليهم حكم المقيمين بجدة والنازلين بها فلهم أن يحرموا من جدة" انتهى.

وهذا كلام باطل وخطأ ظاهر مخالف للأحاديث الصحيحة الواردة في المواقيت ومخالف لكلام أهل العلم في هذا الباب ومخالف لما ذكره هو نفسه في الفقرة الأولى من كلمته المشار إليها آنفًا ؛ لأن النبي ﷺ وقَّت المواقيت لمريدي الحج والعمرة من سائر الأمصار ولم يجعل جدة ميقاتًا لمن توجه إلى مكة من سائر الأمصار والأقاليم وهذا يعم الوافدين إليها من طريق البر أو البحر أو الجو.

والقول بأن الوافد من طريق الجو لم يمر عليها قول باطل لا أساس له من الصحة ؛ لأن الوافد من طريق الجو لابد أن يمر قطعًا بالمواقيت التي وقتها النبي ﷺ أو على ما يساميها فيلزمه الإحرام منها، وإذا اشتبه عليه ذلك لزمه أن يُحرم في الموضع الذي يتيقن أنه محاذيها أو قبلها حتى لا يجاوزها بغير إحرام، ومن المعلوم أن الإحرام قبل المواقيت صحيح وإنما الخلاف في كراهته وعدمها، ومن أحرم قبلها احتياطًا خوفًا من مجاوزتها بغير إحرام فلا كراهة في حقه، أما تجاوزها بغير إحرام فهو مُحَرَّمٌ بالإجماع في حق كل مكلف أراد حجًا أو عمرة ؛ لقول النبي ﷺ في حديث ابن عباس المتفق عليه لما وقَّت المواقيت: "هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن كان يريد الحج والعمرة "، ولقوله ﷺ في حديث ابن عمر المتفق عليه: "يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجحفة وأهل نجد من قرن "، وهذا اللفظ عند أهل

العلم خبر بمعنى الأمر فلا تجوز مخالفته، وقد ورد في بعض الروايات بلفظ الأمر وذلك بلفظ "لِيُهِلَّ" والقول بأن من أراد الإقامة بجدة يومًا أو ساعات من الوافدين إلى مكة من طريق جدة له حكم سكان جدة في جواز الإحرام منها قول لا أصل له ولا أعلم به قائلاً من أهل العلم فالواجب على من يوقع عن الله ويفتي عباده في الأحكام الشرعية أن يتثبت فيما يقول وأن يتَّقي الله في ذلك؛ لأن القول على الله بغير علم خطره عظيم وعواقبه وخيمة. وقد جعل الله سبحانه القول عليه بلا علم في أعلى مراتب التحريم لقوله عزَّ وجلَّ: "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون "

وأخبر سبحانه في آية أخرى أن ذلك مما يأمر به الشيطان فقال سبحانه: "ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين. إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " وعلى مقتضى هذا القول الباطل لو أراد من توجه من المدينة إلى مكة بنية الحج والعمرة أن يقيم بجدة ساعات جاز له أن يؤخر إحرامه إليها، وهكذا من توجه من نجد أو الطائف إلى مكة بنية الحج أو العمرة وأراد الإقامة في لزيمة أو الشرائع يومًا أو ساعات جاز له أن يتجاوز قرنًا غير محرم ويكون له حكم سكان لزيمة أو الشرائع. وهذا قول لا يخفى بطلانه على من تأمل النصوص وكلام أهل العلم، والله المستعان.

ومن تيسيرهم: طواف الإفاضة للحائض التي استعجل رفقتها، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال لعائشة رضي الله عنها **«افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ**

لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي»[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور من -٦٣].

ومن تيسيرهم:

النزول من عرفة قبل غروب الشمس، تقدم غير الضَّعَفَة من نصف الليل.

ومن تيسيرهم:

النيابة في الرمي لغير من يخشى فوات ذلك عليه.

ومن تيسيرهم:

الترخص في المبيت بمنى بغير عذر.

ومن تيسيرهم:

رمي الجمرات في أيام التشريق قبل الزوال، وقد انتظر رسول الله ﷺ حتى زالت الشمس وتَحَرَّى ذلك، ولهذا قال جمهور العلماء ببطلان رمي من رمى قبل الزوال في تلك الأيام وهذا هو الصحيح، وبطلان تلك العبادة فيه عسر عظيم.

ومن تيسيرهم:

تقديم السعي على الطواف لغير عذر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩) ومسلم (١٢١١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن تيسيرهم:

دفع المال للشركات لذبح الأضاحي، فيه عِدَّة أعسار تتمثل في بيع اللحم أو الجلد، وعدم مباشرة المُضَحِّي لكثير من السنن.

من تيسيرهم في العقيدة

ومن تيسيرهم:

تصوير ذوات الأرواح، وقد قال النبي ﷺ «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» (١) وغير ذلك من الأدلة في تحريم صور ذوات الأرواح فيمكن أن يسير الناس في شئونهم على ما سار عليه السلف هذا ويستغنون عن هذا العسر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٢) ومسلم(٢١٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من تيسيرهم في المعاملات

ومن تيسيرهم:

الحوالات المصرفية واستلامها بعملة مختلفة على العملة التي حُوِّلَت بها فهذا ربا وقد جعلوه من التيسير.

ومن تيسيرهم:

البنوك الربوية، اعتبروها تيسيرا وتنمية وإرباحًا والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة-٢٧٨].

ومن تيسيرهم:

التأمين للسيارات والأرواح، قالوا هو تيسير على الناس عند الحوادث، وكم فيه من التعسير بضياع أموال أناس بغير حق فَرُبَّ إنسان يدفع المبالغ ولا يحصل شيء فيؤخذ ماله للآخرين إلزاما له بذلك بغير حق، وآخر يعمل الجرائم العظيمة ويدفع عنه من مال غيره بغير طيب من أنفسهم.

ومن تيسيرهم:

الجمعيات، قالوا هي تيسير إيصال المال إلى المستحقين والواقع أنها حرمت كثيرا من المستحقين ممن ليس إلى حزبها، فصارت عسرا عليهم وسَيَّرُوهَا حسب من في حزبها فقط والواقع شاهد وفيها من المخالفات الشرعية غير هذا ما يعلم به أنها عسر وليست بيسر، وإن سلفنا -ولله الحمد- لم يكونوا قبلها في عسر بعدم الجمعيات.

ومن تيسيرهم:

الاختلاط لكون المدارس غير موفرة للبنات والبنين، قالوا: تيسير على المجتمع وتوفير عليهم من كثرة البِنَايات والمدرِّسين، والواقع أن هذا من غاية العسر والفتنة والفساد في الأرض وحصول الجرائم والتشبه بالكافرين وسوء الأعمال والأخلاق وغير ذلك من الأعسار الدينية والدنيوية كما بينا في رسالة "حشد الأدلة على أن اختلاط النساء بالرجال من الفتن المضلة".

ومن تيسيرهم:

سفر المرأة بغير محرم وقد نهى رسول الله ﷺعن ذلك في عدة أحاديث. وبعض الناس يعتبر سفرها بغير محرم تيسيرًا وتخفيفًا من تكاليف سفر اثنين – رجل وامرأة – وقد علم ما يحصل فيه من الأعسار نظير ما قبله.

ومن تيسيرهم:

قيادة المرأة للسيارة فيه أعسار كثيرة

قال العلامة ابن باز عليه رحمه الله (٣/ ٣٥١....) في حكم قيادة المرأة للسيارة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد كثر حديث الناس في صحيفة الجزيرة عن قيادة المرأة للسيارة، ومعلوم أنها تؤدي إلى مفاسد لا تخفى على الداعين إليها.

منها: الخلوة المحرمة بالمرأة.

ومنها: السفور.

ومنها: الاختلاط بالرجال بدون حذر.

ومنها: ارتكاب المحظور الذي من أجله حرمت هذه الأمور، والشرع المطهر منع الوسائل المؤدية إلى المحرم واعتبرها محرمة، وقد أمر الله جل وعلا نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين بالاستقرار في البيوت، والحجاب، وتجنب إظهار الزينة لغير محارمهن لما يؤدي إليه ذلك كله من الإباحية التي تقضي على المجتمع قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[الأحزاب: ٣٣] الآية.

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[الأحزاب: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ ﴾ [النور: ٣١].

وقال النبي ﷺ: **"ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما"** فالشرع المطهر منع جميع الأسباب المؤدية إلى الرذيلة بما في ذلك رمي المحصنات الغافلات بالفاحشة وجعل عقوبته من أشد العقوبات صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة.

وقيادة المرأة من الأسباب المؤدية إلى ذلك، وهذا لا يخفى ولكن الجهل بالأحكام الشرعية وبالعواقب السيئة التي يفضي إليها التساهل بالوسائل المفضية إلى المنكرات: مع ما يبتلى به الكثير من مرضى القلوب من محبة الإباحية والتمتع بالنظر إلى الأجنبيات، كل هذا يسبب الخوض في هذا الأمر وأشباهه بغير علم وبغير مبالاة بما وراء ذلك من الأخطار.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **[الأعراف: ٣٣]**.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **[البقرة: ١٦٨، ١٦٩]**.

وقال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**».

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعده من شر؟ قل: " **نعم** " قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: " **نعم، وفيه دخن** " قلت: وما دخنه؟ قال: " **قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر** " قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: " **نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها** " قلت يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: " **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا** ". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: " **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** ". قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟ قال: " **فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض**

بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» متفق عليه.

وإنني أدعو كل مسلم أن يتقي الله في قوله وفي عمله، وأن يحذر الفتن والداعين إليها، وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جل وعلا أو يفضي إلى ذلك، وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف. وقانا الله شر الفتن وأهلها، وحفظ لهذه الأمة دينها وكفاها شر دعاة السوء، ووفق كتاب صحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. انتهى

ومن تيسيرهم:

نظر الخاطب إلى مخطوبته على الشاشة، فيه من الأعسار ما قد يرى الوجه على غير خلقته من الجمال المطلوب أو القامة أو غير ذلك مما قد يسبب سوء العشرة.

ومن تيسيرهم:

الصلاة خلف الشاشة، أو نقل الشاشة من مسجد الرجال إلى النساء، وفيه من الأعسار أنه محدث وأنه يُفَوِّت الخشوع وعدم النظر إلى موضع السجود.

ومن تيسيرهم:

الحيلة على التحليل تيسيرًا لرجوع المرأة إلى زوجها الذي قد طلقها ثلاثا، وفيه من الأعسار أنه ملعون قال ﷺ «**لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ**».[1]

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ومن تيسيرهم:

الحيلة على بيع التقسيط، بحيث أنه من أراد سلعة يأتي إلى من يشتريها له ويُسَجِّل عليه مبلغا أكثر من قيمتها، وفيه أنه ربا يحارب الله تعالى صاحبه.

ومن تيسيرهم:

تحديد النسل وفيه من الأعسار تقليل نسل المسلمين ومخالفة أمر رسول الله الصادق الأمين ﷺ «**تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّى مُكَاثِرٌ بِكُمْ**»[1].

ومن تيسيرهم:

إسقاط الجنين المشوه حسب ما يزعم بعض الأطباء تيسيرًا لسلامة أمه أو لعدم المشقة على أهله فيما يزعمون، وفيه من العسر إتلاف نفس حرمها الله، وقد يشفيه الله سواء كان في بطن أمه أو بعد خروجه. لله الأمر من قبل ومن بعد.

ومن تيسيرهم:

تشريح الجثة المسلمة لمعرفة الطب والتيسير على الدارسين، وفيه من الأعسار مخالفة قول النبي ﷺ: «**كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا**».[2]

ومن تيسيرهم:

أطفال الأنابيب تيسيرًا لحصول الولد للعقيم، وفيه من التعسير المتوقع ما قد حصل أن بعضهم يجعل مِني رجل غير زوج تلك المرأة فتحمل من غير

(١) أخرجه النَسائى (٣٢٢٧) من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبوداود (٣٢٠٧) وابن ماجه (١٦١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

زوجها ويختلط النسب ويرث ويورث من غير أبيه ويصير منسوبًا إلى غير أبيه زُورًا مع ما يحصل من وراء ذلك من المخالفات الشرعية.

هذه إلماحات يسيرة لما راج وماج بين الناس في هذه الأزمان من التيسير المزعوم وفيها من الأعسار التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وذلك أن الله تعالى أعلم بعباده ولا يحرم عليهم أولا يأمرهم إلا بما يعلم لهم في ذلك ما لا يعلمه عباده قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك-١٤] فمن خالف ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ فقد أوقع نفسه وربما أوقع غيره في عسر الفتنة والعذاب الأليم كما تقدم الدليل على ذلك.

ونسأل الله العافية والسلامة والحمد لله.

فهرس الموضوعات